رسم مشهد الميلاد مع البابا فرنسيس

غريتشيو والأنتيفونات :

الأخ الراهب مايكل لاسكي، رهبنة الإخوة الأصاغر الديريين

اللوحة بريشة الأخ جوزيف دورنياك، رهبنة الإخوة الأصاغر الديريين

التمهيد

على مرّ القرون، كيّف رهبان غريتشيو في إيطاليا عاداتهم ليواجهوا بها البرد القارس الذي يرافق شهر كانون الأوّل/ ديسمبر، وسارعوا إلى الكنيسة التي تشبه المغارة عند صلاة المساء. وفي وميض الشموع الخافت، علا صوت واحد بنغمة واثقة، وكأنما يجوب آفاق الجبال بنفسه. فكانت الأنتيفونات تُردّد وتتبعها جوقة من الرهبان يرنّمون صلاة تسبحة مريم العذراء من إنجيل لوقا، مجيبةً لرسالة الملاك جبرائيل:

تعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي.
لأنّه نظر إلى تواضع أَمَتِهِ
فهوذا منذ الآن جميعُ الأجيال تطوِّبني.
لأنّ القديرَ صنعَ بي عظائمَ، واسمُه قدّوس
ورحمَتُه الى أجيال وأجيال للَّذين يتَّقونه
صنعَ عزًّا بساعِدِه وشتَّتَ المتكبِّرين بأفكار قلوبهم.
حطَّ المقتدرين عن الكراسي ورفعَ المتواضعين.
أشبعَ الجياعَ خيرًا وصرف الأغنياء فارغين.
عضدَ إسرائيل عبدَهُ، ذاكرًا رحمتَه،
كما تكلَّم لآبائنا ابراهيمَ ونسلِهِ إلى الأبد.

تستحضر الأنتيفونات، التي تُرنّم بين ١٧ و٢٣ كانون الأوّل/ديسمبر، ألقاب يسوع المسيح التي تردّد صداها من شواطئ البحار إلى قمم الجبال ومن المعابد اليهودية إلى الكنائس الصغيرة منذ زمن العهد القديم. وفي طيّاتها شوق لمجيء المسيح المجيد، شوق يُؤجَّج بذكر مجيئه الأوّل في عيد الميلاد.

يا حكمة العليّ، يا ربّنا
أوقد في داخلنا ثقة في إرادة الربّ.

يا أصل يسّى ويا مفتاح داود
أرسنا على رجاء الوعود
التي قطعناها نحن شعب الربّ.

يا أيّها المشرق ويا ملك الأمم
أضرم النار في قلوبنا لنحيا
وأعلن البشرى السارّة .

يا عمانوئيل، أيّها الرب الإله معنا
ادفعنا لنعيش في دفء
الثالوث الكامل والوحدة الصافية.

بروح فكاهية تميّز بها الإخوة الفرنسيسكان في ما بعد، قامت مجموعة من رهبان القرن السادس بترتيب الأنتيفونات بطريقة تتيح صياغة عبارة من كلمتين، وهي «ERO CRAS» ، تُترجم إلى «غدًا أعود» بالإشارة إلى عيد الميلاد، وذلك عند جمع أولى حروف كلّ من ألقاب يسوع اللاتينية بترتيب عكسي بدءًا من ٣ ٢ كانون الأول/ديسمبر، وهي عمانوئيل [Emmanuel] ، وملك الأمم [Rex] ، والمشرق [Oriens]، ومفتاح داود [Clavis]، وأصل يسّي [Radix]، وربّنا [Adonai]، وحكمة العليّ [Sapientia] .

لذلك، كما يدعونا المسيح، فليساعدنا هذا المرجع على الاستعداد لهذا الغد عندما يحلّ.

المقدّمة

يعود الفضل إلى فرنسيس الأسيزي في إعادة إحياء مشهد ميلاد المسيح من خلال تمثيله الحيّ في غريتشيو منذ ٨٠٠ عام. في رسالته الرسولية لعام ٢٠١٩ بعنوان "علامة رائعة"، يتأمّل البابا فرانسيس غريتشيو في عام ١٢٢٣، وينظر في معنى مشهد الميلاد وأهميته. مستمدًّا الإلهام من روح القديس فرنسيس، يذكّرنا البابا أنّ مغارة الميلاد تمثّل إنجيلاً حيًا ينبثق من صفحات الكتاب المقدّس. عندما نتأمّل قصة قصة الميلاد، نحن مدعوون للانطلاق في رحلة روحية، مستلهمين بتواضع الربّ الذي جعل من نفسه إنسانًا للاقتراب من كلّ رجل وامرأة. ندرك سعة محبته العظيمة لنا التي دفعته ليصبح واحدًا منا، فنصبح بدورنا واحدًا معه."i

يهدف هذا المرجع إلى مساعدتنا في خوض هذه الرحلة الروحية المتمثلة بالمجيء المجيد وعيد الميلاد من خلال الجمع بين إلهام غريتشيو والأنتيفونات. فبقدرة كلّ منهما أن تساعدنا على التوصّل إلى فهم أعمق لكيّفية عيش تعاليم الكنيسة الاجتماعية بصورة أفضل في عالمنا اليوم. باختصار، إن "الصلاة بالأعمال" الفرنسيسكانية هي التي توطّد علاقتنا مع الربّ ومع الآخرين، من خلال لحظات صمت وحركة وترنيم وتأمّل.

برؤية نابعة من عيني قلبه، يقول لنا البابا فرنسيس: "مع بساطة هذا المشهد، حقق القديس فرنسيس بشارة عظيمة. فلامس تعليمه قلوب المسيحيين ولا يزال حتى يومنا هذا يمثّل وسيلة عفوية تعكس جمال إيماننا. حقيقةً، يعبّر المكان الذي صُنعت فيه مغارة الميلاد الأولى عن هذه المشاعر ويستحضرها في نفوسنا، لتصبح غريتشيو ملجأ روحيًا، حصنًا جبليًا يلفّه الصمت."ii

تلائم الصلاة المقدّمة في هذا المرجع أي سيّاق: سواء كان ذلك في مطبخ أسرة مرهقة وحيدة العائلة أو في كنيسة مجتمع ديني. ويمكن إعداد مغارة الميلاد مثلاً في أيام «الأنتيفونات» التقليدية من ١٧ إلى ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر، كما يمكن إعدادها في أي سبعة أيام متتالية خلال موسم المجيء.

إتبعوا خطى الروح القدس، وتذكّروا نصيحة البابا فرنسيس قائلاً: «إننا إذ نقف أمام مغارة عيد الميلاد، يذهب فكرنا إلى وقت كنّا فيه أطفالًا نتوق شوقًا لبناء المغارة. تقودنا هذه الذكريات إلى أن نكون أكثر وعيًا بالنعمة الثمينة التي تلقيناها ممّن زرعوا في قلوبنا نعمة الإيمان. وكذلك، تذكّرنا بواجبنا في مشاركة هذه التجربة نفسها مع أطفالنا وأحفادنا. ليست طريقة إعداد مغارة الميلاد هي الأهم، فيمكن أن تبقى على حالها أو أن تتغيّر من عام إلى آخر، بل الأهم هو أن تلامس المغارة حياتنا. أينما حلّت، وكيفما بدت، تكلّمنا المغارة عن حبّ الله، ذلك الإله الذي جعل من نفسه طفلاً ليُشعرنا بقربه من كل واحد منّا، رجالاً ونساءً وأطفالاً، مهما كانت ظروفنا.iii

تبدأ كلّ صلاة بأنتيفونة اليوم، تليها رؤى البابا فرنسيس حول رمزية مغارة الميلاد وأهميتها بوحي من القديس فرنسيس الأسيزي في غريتشيو.

يُدعى بعدها المشاركون لترتيب أجزاء معيّنة من المغارة، وقد يستغرق ذلك وقتًا طويلاً أو قصيرًا بحسب حجم المغارة وخيال المشاركين.

ويلي ذلك التوصية بإضاءة الشموع، بحيث تزداد من شمعة واحدة في اليوم الأوّل إلى سبع شموع في اليوم الأخير. قد تبعث إضاءة الشمعة (أو الشموع) الراحة في أنفسكم في لحظة امتنان صامت لله ويقظة مليئة بالأمل مستوحاة من هذا العمل. بعدها، يمكنكم ترنيم أية آية من ترانيم الأيام السابقة مرّة أخرى، فيما تضاء الشموع من جديد. مرّة أخرى، دعوا الروح يلهم إبداعكم.

أخيرًا، يُقدّم مقطع من تعليم الكنيسة الاجتماعي كتأمّل يهدف إلى ربط أسرار قصة عيد الميلاد بعالمنا اليوم، على أمل أن يثير بعض النقاشات.

ما من صلاة ختامية للجسلة، بل يمكنكم تقديم صلوات شفاعة عفوية أو صلاة التسبحة معًا (انظروا التمهيد). وكذلك، قد يقودكم الروح ببساطة إلى احتساء فنجان من القهوة أو الشاي أو الشوكولاتة الساخنة وإلى بدء محادثة أخرى حول حضور المسيح في حياتكم.

يا حكمة العليّ

O SAPIENTIA

يا حكمة العليّ

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

تزيّن المشهد أولاً سماءٌ مرصّعة بالنجوم، يغمرها ظلام الليل وسكونه. فلنحاول الآن التفكير في كلّ لحظة في حياتنا اختبرنا فيها ظلمة الليل. في كلّ من هذه اللحظات، لم يتركنا الربّ، بل كان حاضرًا معنا ليجيب أسئلتنا الحاسمة حول معنى الحياة. من أنا؟ من أين أتيت؟ لما ولدت في هذه الحقبة التاريخية؟ لما أحب؟ لما أعاني؟ لما سأموت؟ فقد جعل الله من نفسه إنسانًا ليجيب كلّ من هذه الأسئلة. إنّ قربه يضيء على الجالسين في الظلمة، ويهدي أقدامنا في طريق السلام (انظروا لوقا ١: ٧٩).iv **وبحكمة الله**، نُمنح نجم لنتبعه، وبذلك نبص نورًا ساطعًا يجيب أسئلتنا في ظلمة قلوبنا. الملائكة والنجم المرشد يرمزان إلى أننا أيضًا مدعوون للاتجاه نحو الكهف وتمجيد الرب.

وضع الملائكة والنجم في مغارة الميلاد

أضيئوا الشمعة الأولى ورنّموا

تعال يا **حكمة العليّ** من العلاء
يا من يدبّر كلّ شيء بمجد عظيم
خطانا إلى طريق المعرفة أرشدها
وعلّمنا طرقك لنسلكها.
افرحوا! افرحوا!
هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

مع تلاشي الصمت والإصغاء، وتحويل كلّ شيء إلى نقرات ورسائل سريعة ومشحونة بالقلق، نعرّض للخطر الهيكل الأساسي للتواصل البشري الحكيم. نخلق نمطَ حياةٍ جديد حيث نبني ما نريد أن يكون أمامنا، ونستثني كلّ ما لا يمكن السيطرة عليه أو معرفته معرفة سطحيّة وفوريّة. هذه الديناميكيّة، بسبب منطقها الجوهري، تمنعنا من القيام بتفكير هادئ قادر على أن يقودنا إلى **حكمة مشتركة**.

[البابا فرنسيس، Fratelli Tutti ، في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، 49]

يا ربّنا

O ADONAI

يا ربّنا

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

في 25 كانون الأوّل/ ديسمبر 1223، قصد القديس فرنسيس الأسيزي ورهبانه غريتشيو من مناطق مختلفة، يرافقهم رجال ونساء من القرى المجاورة، وأحضروا الورود والمشاعل لإضاءة تلك الليلة المقدّسة. عند وصول فرنسيس، وجد مذودًا مملوءًا بالقش وثورًا ا وحمارًا. فغمر جميع الحاضرين فرحٌ جديدٌ لا يوصف بحضور مشهد عيد الميلاد. ثم احتفل الكاهن بسرّ الإفخارستيا فوق المذود، موضحًا الصلة بين تجسّد ابن الله والإفخارستيا. في غريتشيو، لم يكن للتماثيل مكانًا؛ بل شارك جميع الحاضرين في تمثيل مشهد مغارة الميلاد واختبروه. هكذا وُلدت تقاليدنا: «حيث اجتمع الجميع بفرح حول المغارة **لتمجيد الربّ**، من دون مسافة بين الحدث الأصلي وكلّ من تشارك أسراره«.v

وضع القش والحيوانات في مغارة الميلاد

أضيئوا شمعتين ورنّموا

تعال، تعال يا ربّ الجلال ،
يا من تجلّيت على طور سيناء لأتباعك
ومنذ أزل أعطيتهم الشريعة،
بمجدك ورهبتك.
افرحوا! افرحوا!
هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

شهادة فرنسيس الأسيزي تُبيّن لنا أيضًا أن الإيكولوجية الشاملة تتطلّب انفتاحًا على فئات تتجاوز لغة العلوم المجردة أو علم الأحياء ، وتربطنا بما هو أساس البشرية. ومثلما يحدث عندما نقع في حبّ شخص ما، في كل مرّة كان ينظر القديس فرنسيس إلى الشمس أو القمر أو الحيوانات الصغيرة، كانت ردّة فعله هي الإنشاد، مُشركًا كلّ المخلوقات في هذا التسبيح. لقد كان يتواصل مع كل الخليقة، فكان يعظ حتى الزهور ويدعوها «إلى أن **تُسبحَ الله** وتحبّه، كما ولو كانت تتمتع بالفهم». كانت ردّة فعله أكثر من مجرّد تقدير ذهني أو حساب اقتصادي، لأن كلّ مخلوق بالنسبة إليه كان أخًا تربطه به أواصر المودّة.

[البابا فرنسيس Laudato si’ (كن مسبّحًا)، 11]

يا أصل يسّى

O RADIX JESSE

يا أصل يسّى

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

نضع عادةً في مغارة الميلاد العديد من التماثيل الرمزية، منها تماثيل لمتسوّلين (وفقراء / أفضل حذفها) لا يعرفون أية وفرة غير وفرة القلب. ولهم أيضًا
كلّ الحق في الاقتراب من الطفل يسوع، ولا يستطيع أحد أن يخرجهم أو يبعدهم من مهد في غاية التواضع، والفقراء من حوله هم المفضَّلون. في الواقع، الفقراء هم المتميزون في هذا السر، وهم غالبًا الأكثر قدرة على إدراك حضور الله بيننا. يُذكّرنا الفقراء والبسطاء في مغارة الميلاد أن الله أصبح إنسانًا من أجل أولئك الذين يشعرون بالحاجة إلى حبّه ويلتمسون قربه. يسوع «الوَديع المتواضع القلب » (متى ١١: ٢٩)، وُلد فقيرًا، وعاش حياة بسيطة ليعلّمنا أن ندرك ما هو أساسي وأن نحيا به. الله نفسه، الذي وُلد في مغارة الميلاد، يبدأ الثورة الحقيقية الوحيدة التي تمنح الرجاء والكرامة للمحرومين والمهمشين: إنها ثورة الحب والحنان. من مغارة الميلاد، يعلن يسوع بقوة لطيفة **الدعوة إلى التقاسم مع الفقراء، طريقًا نحو عالم أكثر إنسانية وأخُوّة، حيث لا يتم إقصاء أحد ولا تهميشه**.vi

وضع تماثيل الفقراء وسكان القرية في مغارة الميلاد

أضيئوا ثلاث شموع ورنّموا

تعال، يا جذع شجرة يسّى ،
القائم للشعوب راية؛
قبل أن يسود الصمت حكامك؛
فالجميع لرحمتك يدعون.
افرحوا! افرحوا! هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

أدعو الجميع إلى التحلّي بالرجاء المتجدّد **الذي يخبرنا عن واقع متجذّر في أعماق الإنسان**، بغضّ النظر عن الظروف الواقعيّة والتاريخيّة التي يعيش فيها. يخبرنا عن التعطّش، والطموح، والشوق إلى الملء، والحياة المكتملة، والرغبة في لمس العظمة، التي تملأ القلب وتسمو بالروح نحو سمات عظيمة، مثل الحقيقة والصلاح والجمال والعدل والمحبة. [...] الرجاء جريء، فهو يعرف كيف ينظر إلى ما وراء الراحة الشخصية والضمانات الصغيرة والتعويضات التي تضيّق الأفق، حتى ينفتح على المثل العليا التي تجعل الحياة أكثر جمالًا وجلالاً. تعالوا نسير على دروب الرجاء.

[البابا فرنسيس، Fratelli Tutti ، في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، 55]

يا مفتاح داود

O CLAVIS DAVID

يا مفتاح داود

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

خطوة تلو الأخرى، نصل إلى المغارة، حيث نجد شخصيتي مريم ويوسف اللذين سافرا إلى بيت لحم ليتسجّلا في الإحصاء كونهما من بيت داود. مريم هي الأم التي تتأمّل طفلها وتقدّمه لأولئك الذين يأتون لزيارته. تمثالها الصغير يجعلنا نفكر في السرّ العظيم الذي تحمله هذه الفتاة منذ أن طرق الله باب قلبها الطاهر. عندما بشّرها الملاك الذي طلب منها أن تصبح والدة الله، أجابت مريم بطاعة كاملة وشاملة. إن كلماتها: «أنا أمة الرّبّ فليكن لي بحسب قولك» (لوقا ١: ٣٨)، هي شهادة لنا جميعًا تعلّمنا كيف نتخلّى عن ذاتنا بإيمان لتتمة مشيئة الله. **يقف القديس يوسف** إلى جانب مريم من أجل حماية الطفل ووالدته. إنه **الحارس الذي لا يتعب أبدًا من حماية عائلته**. عندما حذّره الله من تهديد هيرودس، انطلق من دون تردّد وهاجر إلى مصر (انظروا متى ٢: ١٣- ١٥). ومجر زوال الخطر، أعاد العائلة إلى الناصرةحيث كان أوّل، معلّم ليسوع الصبي واليافعvii.

وضع تمثالي مريم ويوسف
في مغارة الميلاد

أشعلوا أربع شموع ورنّموا

تعال، **يا مفتاح داود**، تعال،
يا من يفتح أبواب الملكوت الأبدي؛
اجعل الطريق الذي يؤدّي بنا إلى العلاء آمنًا،
وسبيلنا نحو الشقاء مسدودًا.
افرحوا! افرحوا! هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

أودّ أن أقدّم لكم القديس يوسف كمهاجر مُضطَهد وشجاع. هكذا وصفه الإنجيلي متّى. هذا الحدث تحديدًا في حياة يسوع، والذي يشاركه بطولته أيضًا يوسف ومريم، يُعرف عادةً باسم «الهروب إلى مصر» (انظر متى ٢: ١٣- ٢٣). خلاله، عانت عائلة الناصرة كمًّا هائلاً من الإذلال واختبرت بنفسها عدم الاستقرار والخوف والألم الناتج عن اضطرارها إلى مغادرة وطنها. وما زال العديد من إخوتنا وأخواتنا حتى اليوم مجبرين على اختبار نفس الظلم والمعاناة، وغالبًا ما يكون السبب غطرسة أصحاب النفوذ وعنفهم. كما كان الحال أيضًا بالنسبة ليسوع المسيح... لنفكّر بيسوع الهارب بين ذراعي يوسف ومريم، ولنرى فيه كلّ واحد من المهاجرين اليوم. فالهجرة اليوم حقيقة لا يمكننا غضّ بصرنا عنها.

[البابا فرنسيس، التعليم المسيحي عن القديس يوسف –٥]

يا أيّها المشرق

O ORIENS

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

في قداس عيد الميلاد الذي يحتفل به الرعاة عند بزوغ الفجر، نسمع هذه العبارة، «هلُمَّ بنا إلى بيت لحم، فنرى ما حدث، ذاك الذي أخبرنا به الرّبّ» (لوقا ٢: ١٥): هذا ما قاله الرعاة بعد بشارة الملائكة. ومن هذه الكلمات البسيطة ينبثق تعليم جميل. على عكس عديدين منشغلين بأشياء كثيرة، يصبح الرعاة أوّل شهود لما هو أساسي، أي للخلاص الذي أُعطي لهم. إنهم الأكثر تواضعًا والأكثر فقرًا والذين عرفوا كيف يستقبلون حدث التجسّد. إلى الله الذي أتى للقائنا في الطفل يسوع، يستجيب الرعاة بالانطلاق نحوه، من أجل لقاء مفعم بالحب والامتنان. إنّ هذا اللقاء بالتحديد بين الله وأبنائه، بواسطة يسوع، هو الذي يضفي(ال) حياة على ديانتنا، ويصنع جمالها الفريد الذي يتألّق بطريقة خاصة في مغارة الميلاد.viii

وضع تماثيل الرعاة
في مغارة الميلاد

أضيئوا خمس شموع ورنّموا ،

تعال يا فجر الصباح من العلاء ،
وأبهجنا بقربك الغنّاء؛
بدّد غيوم الليل القاتمة ،
وشتّتت ظلال الموت المظلمة.
افرحوا! افرحوا! هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

إن ألفة الكنيسة مع يسوع [**الفجر من العلاء الذي يهدي أقدامنا في طريق السلام**] هي جزءٌ من رحلة مشتركة، «فالشراكة والرسالة مترابطتان بشكل عميق». أمانة لمثال المعلّم، من غير كلمة اليوم أن تخرج الكنيسة لتبشّر الجميع بالإنجيل: في كلّ مكان، وفي كلّ المناسبات، من دون تردّد أو تلكؤ أو خوف. ففرح الإنجيل يخصّ الشعب كلّه: ولا يمكن أن يُقصى أحد عنه. هذا ما أعلنه الملاك لرعاة بيت لحم: «لا تخافوا. فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون للشعب كلّه» (لوقا ٢: ١٠). لفهم هذا الواقع، يجب التقرّب منه بنظرة الراعي الصالح الذي لا يسعى ليدين بل ليحبّ.

[البابا فرنسيس، فرح الإنجيل، ٢٣ و١٢٥]

يا ملك الأمم

O REX GENTIUM

يا ملك الأمم

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

مراقبين النجوم، انطلق المجوس من الشرق في رحلة إلى بيت لحم ليجدوا يسوع ويقدّموا له هداياهم من الذهب واللبان والمرّ. ولكلّ من هذه الهدايا الثمينة رمزية فريدة: فالذهب يكرّم ملوكيّة يسوع، والبخور ألوهيته، والمرّ ّ إنسانيته المقدسة التي ستختبر لاحقًا الموت والدفن. يعلّمنا المجوس أنه يمكننا أن ننطلق من بعيد للوصول إلى المسيح. كانوا رجالاً أغنياء، وغرباء حكماء، ومتعطشين إلى السرمدي. انطلقوا في رحلة طويلة ومحفوفة بالمخاطر حملتهم إلى بيت لحم (انظروا متى ٢: ١- ١٢). أمام الطفل الملك شعروا بفرح عظيم. لم يخجلوا من فقر البيئة المحيطة بهم؛ ولم يتردّدوا في الركوع على الركبتين ليسجدوا له. أمامه يفهمون أن **الله، كما ينظّم بحكمة مجرى الكواكب، كذلك ينظِّم مجرى التاريخ، فيضع الأقوياء ويرفع المتواضعين**.ix

وضع تماثيل الملوك
في مغارة الميلاد

أضيئوا ست شموع ورنّموا

تعال يا من **تطوق إليه الأمم** ،
نحن شعبك وحّد قلوبنا ،
وأوقف أسى انقساماتنا ،
لتكن أنت ملك سلامنا.
افرحوا! افرحوا! هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

بالنسبة إلى الكنيسة، اختيارها الفقراء هو مقولة لاهوتية قبل أن تكون ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أو فلسفية. الله يمنحهم «رحمته الأولى». لهذا التفضيل الإلهي عواقب في حياة إيمان جميع المسيحيين، المدعوين إلى أن يكون لهم «من الأفكار ما هو في المسيح يسوع » (فيلبي 2: 5). الكنيسة، وقد استوحت من التفضيل الإلهي، اختارت الفقراء، اختيارًا يُفهم تحت «شكل خاص من الأولوية في ممارسة) المحبة المسيحية التي يشهد لها تقليد الكنيسة بأكمله... وهو ضمن الإيمان المسيحي بذاك الإله الذي افتقر من أجلنا، كي يغنينا بفقره». لهذا السبب، **أريد كنيسة فقيرة من أجل الفقراء. فلديهم الكثير ليعلّموننا إيّاه.**

[البابا فرنسيس، فرح الإنجيل ١٩٨]

يا عمّانوئيل، الله معنا

O EMMANUEL

يا عمّانوئيل، الله معنا

من خلال غريتشيو، يعلّمنا البابا فرنسيس الآتي:

يبدأ قلب المغارة بالخفقان عندما نضع، في عيد الميلاد المجيد، تمثال الطفل يسوع. الله يقدّم نفسه بصورة طفل نحمله بين أذرعنا. تحت مظاهر الضعف والهشاشة تختفي قوّته، فهو خالق كلّ شيء ومبدِّل كل شيء. يبدو الأمر مستحيلًا، لكنه حقيقي: **في يسوع كان الله طفلًا** ، **وفي هذه الحالة أراد أن يكشف عن عظمة حبّه** الذي يظهر في ابتسامته وفي يديه التي يمدّهما إلى كلّ منّا. كلّ ولادة طفل تثير الفرح والاندهاش، لأنّها تضعنا أمام سرّ الحياة الكبير. يمكن رؤية أعّين الزوجين الشابين المضيئة فرحًا أمام ابنهما المولود حديثًا. كذلك نفهم مشاعر مريم ويوسف وهما ينظران إلى الطفل يسوع، وقد أدركا حضور الله في حياتهما. إنّ طريقة الله في أعماله تدهشنا وتفاجئنا. فيبدو من المستحيل أن يتخلى الله عن مجده ليصبح إنسانًا مثلنا. ويا لها من مفاجأة أن نرى الله يتصرّف مثلنا: ينام، ويأخذ الحليب من أمه ، ويبكي ويلعب مثل كلّ الأطفال! هذه هي الحال دائما مع الله، إننا نصاب بالذهول أمام أعماله. لا يمكن أن نتوقعها، إنه أنها يفوق مخططاتنا. لذلك فإن مغارة الميلاد، بينما تُظهر لنا كيف دخل الله العالم، تحثّنا على أن نفكّر في حياتنا التي أصبحت متداخلة في حياة الله وتدعونا لأن نصبح تلاميذه إن أردنا أن ندرك المعنى النهائي للحياة.x

وضع الطفل يسوع في مغارة الميلاد

أضيئوا سبع شموع ورنّموا

تعال، **تعال يا عمانوئيل،**
وافدِ شعوبك الأسيرة؛
الراثية في منفاها وحيدة،
إلى أن يظهر ابن الله.
افرحوا! افرحوا! هوذا عمّانوئيل يأتي من أجلك يا إسرائيل.

عيش الميلاد اليوم

أدعو كلّ مسيحي، في أي مكان ووضع كان، إلى **أن يجدّد اليوم بالذات لقاءه الشخصي مع يسوع المسيح**، أو على الأقلّ أن يقصد بأن يدع المسيح يلقاه؛ بأن يبحث عنه كلّ يوم باستمرار. لا داعي لأن يفكّر أحد بأن هذه الدعوة ليست موجّهة إليه، لأن «لا أحد يُقصى عن الفرح الذي يجلبه لنا الربّ». من يخاطر لا يخذله الله، ومن يخطو خطوة صغيرة نحو يسوع، يكتشف أنّه كان هو ينتظر مجيئه بذراعين مفتوحتين.

[البابا فرنسيس، فرح الإنجيل، ٣]

الخاتمة

منذ ٨٠٠ عام، دعا القديس فرنسيس شعب غريتشيو للتجوّل في مغارة ميلادية حيّة. وبالروح نفسها، نُدعى نحن أيضًا للدخول اليوم إلى مغاراتنا الميلادية. إن جعلنا أنفسنا جزءًا من المشهد الذي ترتسم ملامحه شيئًا فشيئًا، ننشئ مساحة لنرنّم الترنيمة التي أيقظها الطفل يسوع في قلوبنا، فيما نمجّد إلهنا الذي صار مثلنا كي نصبح مثل الله ونحيا للأبد.

في صغري، كانت مغارتنا الميلادية بمثابة «إنجيل حي ينبثق من صفحات الكتاب المقدس» في منزلنا. وفي نظري، لا يزال ليوسف لحية باهتة الألوان، ولا تزال مريم راكعة بجانب المهد، تصلّي بشفاه حمراء زاهية. وأتذكّر أيضًا من كان غائبًا عن المشهد، إذ كانت شخصيتي المفضلة من بين جميع ترانيم عيد الميلاد غائبة، وهي قارع الطبول الصغير.xi

لذا، عندما كان المنزل هادئًا، وتحت أضواء الشجرة المتلألئة، كنت أجلس داخل المذود. وباستخدام ركبتي كطبل، كنت أعزف وأغنّي له أغنيتي، «تعال، قالوا لي، با-رام-بم-بم-بم...». وقبل أن أسمع عن «الأنتيفونات»، تردّد صداها على «طبلي ».

أتمنّى أن تصبح «الأنتيفونات» جزءًا من تقاليدكم الخاصة بعيد الميلاد. ومع مرور الوقت، قد تتخيّلوا أنفسكم تحملون الطفل يسوع لتهدوئنه بأغنية، «تعال، تعال...»

ثم، في قلوبكم، أتمنّى أن تسمعوه يهمس قائلاً:«ERO CRAS، أنا قادم غدًا ».

الحواشي

i البابا فرنسيس، علامة رائعة، ١.
ii المرجع نفسه ٣.
iii المرجع نفسه ١٠.
iv المرجع نفسه ٤.
v المرجع نفسه ٢.
vi المرجع نفسه ٦.
vii المرجع نفسه ٧.
viiiالمرجع نفسه ٥.
ix المرجع نفسه ٩.
x المرجع نفسه ٨.
xi « ترنيمة الطبل» لكاثرين كينيكوت ديفيس (١٩٤١)، أعيد تسميتها بـ»قارع الطبول الصغير» (١٩٥٧). بدون تاريخ.

ملاحظة:

جميع نصوص البابا فرانسيس، المشار إليها في المرجع وفي الحواشي، تُستخدم بإذن: © - Dicastero per la Comunicazione
Libreria Editrice Vaticana

نبذة عن الراوي والفنان:

الراهب مايكل لاسكي هو راهب ديري فرنسيسكاني يعيش حاليًا في روما، إيطاليا. بصفته المندوب العام للعدالة والسلام ونزاهة الخلق في رهبنته الفرنسيسكانية، يقضي معظم وقته على الأرض في العمل مع الرهبان على مبادرات العدالة الاجتماعية وفي تقديم برامج تنشئة حول التعاليم الاجتماعية للكنيسة، وخاصة في ما يتعلق بالروحانية الفرنسيسكانية والتقاليد الفكرية. وقد عمل أيضًا لدى منظمة الفرنسيسكان الدولية في الأمم المتحدة ويعمل حاليًا في شبكة العمل الفرنسيسكاني كعضو في مجلس الإدارة. في عام ٢٠١٩، أسّس في مدينة إليكوت في ولاية ماريلاند. وهو يدير أيضًا موقع الدير الفرنسيسكاني Little Portion Farm الراهب مايكل جمعية FranciscanVoice.org

انضمّ الراهب جوزيف دورنياك إلى دير الرهبان الفرنسيسكان في عام ١٩٦٩ سيمَ كاهنًا في عام ١٩٧٩. وقد أمضى جزءًا كبيرًا من خدمته في أبرشيات شرق الولايات المتحدة، كما كرّس بعضًا من وقته للتعليم في مدرسة ثانوية في فلوريدا. وقد خدم الراهب جوزيف أيضًا دوليًا في غانا وجامايكا وايرلندا. في كلّ من خدماته، ترك لمسته الفنية، وألهم عددًا لا يحصى من الناس ليقبلوا نعمة الربّ في حياتهم من خلال فنّه. لقد وهبنا الراهب جوزيف فن غريتشيو، وهو يخدم حاليًا في دير القديس مرقس في بوينتون بيتش، فلوريدا.

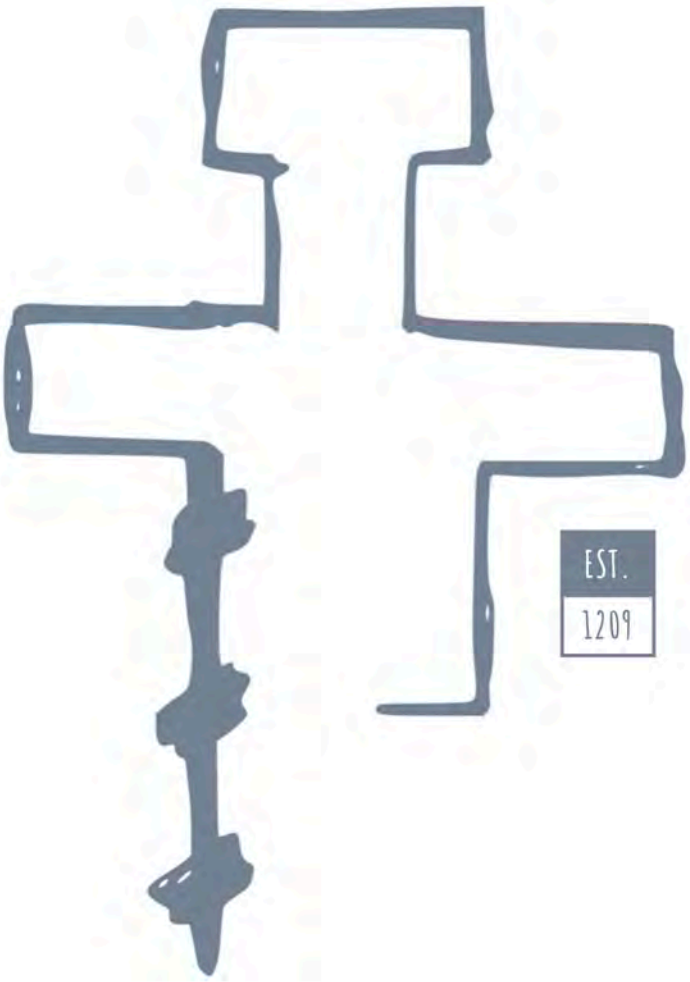

To access meditation in other languages, visit:

FranciscanVoice.org